

دراسات في الأدب الانكليزي

٣ - وليم وردزورث

William Wordsworth

بقلم جريس القسوس

- أشعاره ونظريته في الأدب

ظهرت الطبعة الأولى من ديوانه Syical Balleads سنة ١٧٩٨ كما بينا سابقاً ، أما الطبعة الثانية فقد نُشرت سنة ١٨٠٠ حاويةً مقدمته الشهيرة التي ضمنها نظريته في الأدب عامة وشعره خاصة دون خيفة أو تردد . ولكولردج في الطبعة الأولى من هذه المجموعة ثلاث قصائد . غير أنه أضاف إليها قصيدتين أخريين ظهرتا في الطبعة الثانية . وهذه القصائد الخمس هي « الملاح القديم ، والمندليب ، و Foster-Mother tale ، و Dungeon ، والحب » .

وما كاد الأدباء والكتاب يظلمون على آراء وردزورث في مقدمة ديوانه ويقرأون أشعاره في ديوانه حتى تناولوه بأقلام نارية وألسنة حادة ، فسخروا ماشاء الله لهم أن يسخروا بأرائه وأشعاره . ولم يبق ديوانه في شكل واحد بل ظهر في أوضاع شتى ، وكان الشكل الأخير الذي ظهر فيه سنة ١٨٤٥ جامعا جزأين مع المقدمة ومذيلاً ملحق في (التمايز الشعرية) Poetic Dictan

أما النظرية التي أودعها المقدمة فتتلخص فيما يلي : -

« على الشاعر أن ينتزع موضوعاته من الحوادث المادية

بولوها حقها من الاهتمام ، وأهيب بوزارة المعارف المصرية أن ترسل إلى تركيا بثنة من طلبتنا النجباء كي يدرسوا فنون الموسيقى الشرقية الصميمة ، وينقلوا لنا كل ما تصل إليه أيديهم قبل أن تلتأني هذه الفنون ويتم حلول الموسيقى الغربية محلها ، وذلك أسوة بالبعوث التي أرسلها إلى أوروبا ؛ وهناك يتشبع الطلبة بالموسيقى الغربية ولا يكونون في المستقبل حرباً على الموسيقى الشرقية التي من المار أن نهض على حداب الموسيقى الغربية أو تتلوث بدماء دخيلة فيتمكر سفاؤها . .

عبد الحميد رفعت شيز

اسكندرية

المألوفة ، وأن يمر عنها بلغة سهلة واضحة ليفهمها « الراعي والعالم » على السواء . أي لا تكون رخلواً من البلاغة ، ولا تهبط إلى درجة الركاكة والفهامة . وعليه أيضاً أن يلبس الحوادث كساء من الخيال الرائع لكي تظهر وهي عادة مألوفة غير عادية ولا مألوفة ، وأن يقف تجاه كل حادث موقف العالم اللدق المحقق ، الذي يحلل الأمور تحليلاً علمياً منطقياً ، فيبحث عن السببات ويرجمها إلى أسبابها ، محكاً في كل حالة عقله في التحليل وعاطفته في التعبير . أما الشعر فهو الانبعاث الطبيعي للشعور القوي الزاخر ؛ وما الشاعر إلا إنسان يخاطب بشراً ، إنسان شديد الاحساس والغيرة متضلع من درس الطبيعة البشرية ، تتكشف له نواح في الحياة ومظاهر في الطبيعة تحتجب عن غيره ، وهو يعبر عن موضوعه بلغته ليتفنى بها الجميع . بهذا يمتاز الشاعر من سائر البشر عموماً ومن علماء الطبيعة بعض الامتياز خصوصاً «

ولقد نما وردزورث في انتخاب موضوعات أشعاره منحى إسحاق ملتن ووليم بلايك وروبرت برنز وقرأى وغيرهم ، غير أنه لم يقتصر على أسلوب واحد في النظم ، بل طرق معظم البحور والأوزان الشعرية التي سبقه إليها الشعراء قبله . أما سبكه اللفظي ففي غاية الدقة والبساطة ، وتراكيبه خالية من الألفاظ اللاتينية التي يكتظ بها شعر ملتن ، ومن قالكية بوب ، أو إلهامية پرونيج الناجمة عن تطرفه في الإيجاز . ويندر أن نجد في شعره رجوعاً إلى الأساطير الأولى أو اقتباساً من الأدب (الأصولي) الكلاسيكي أو تقليداً له ، ولقد أكثر من دراسة الشعراء الذين سبقوه وخصوصاً شكسبير ، وملتن وجوسر وسبنسر وكوتز وقرأى وتشبع بأرائهم وأساليبهم فتنسج على منوالهم في بدء حياته ، غير أنه عاد فابتدع له أداة للتعبير خاصة به . أما ميزات شعره فتتلخص فيما يلي :

بساطة الأسلوب وسهولة التعبير ، ووضوح المعنى في أغلب

الأحيان

انتزاعه موضوعات أشعاره من الطبيعة والحوادث اليومية والأشياء المادية المألوفة . وقد ورد ذكر هاتين الميزتين في الكلام على مقدمة ديوانه

تصرف :

وهذه إحدى خصائص الحركة الإبداعية التي كان يمثلها شاعرنا في بلاد الانكليز أسدق التمثيل . وورد زورث يرى أن الله روح تقطن في جميع مظاهر الكون أو الطبيعة الخارجية من هواء وجبال ورياح وصخور حتى الرعاة والحيوانات . وتظهر لنا هذه الفلسفة جلية في قصيدته Tintara Abbey ، وتعرف عند أهل اللاهوت والصفوية « بشمول الألوهية » أو « وحدة الوجود » Pantheism ، « أي أن الله إنما هو القوى والنواميس الطبيعية وأنه حال في كل شيء وليس مستقلاً » . على أنه لم يتمسك بهذه العقيدة تمسكاً دينياً ذمياً كما يظن بعضهم ، بل أخذها عقيدة شعرية وقتية دفعت عاطفته وروحه الشعرية إلى إيرادها في سياق الكلام

ولم بالطرفة والاطفال :

وهذا ظاهر في معظم قصائده مثل « نحن سبعة » ، وفي القصائد التي ورد فيها ذكر الطفلة « لوسى » . وتجلى هذه الخاصية بوضوح في قصيدته « خواطر في الخلود من ذكريات الطفولة » ؛ ففيها يرى أن الانسان أقرب ما يكون إلى الله وإلى السماء في أوقات الطفولة . وهو يؤمن بسابق وجود الانسان وأزليته (Preexistence) ، أي ان الانسان كان أصلاً في السماء فهجرت روحه وظهرت في جسد بشري على الأرض . فالانسان في عهد الطفولة يكون بحكم الطبع قريباً جداً من الزمن القبي قصته روحه في السماء ، لهذا يفضل عهد الطفولة عهدى الكهولة والشيخوخة . إلا أنه يحسن بنا أن نرفق بالشاعر فلا نجري عليه الأحكام الجارفة في كل ما نمزوه إليه من المقائد . فهو — كما بينا سابقاً — لم يكن متمسباً لرأى أو لعقيدة واحدة منظمة شأن كبار الفلاسفة أو اللاهوتيين وإنما كان شاعراً يكتب عن عاطفة شديدة ، فهو لا يستقر على رأى من الآراء ما دامت الماطمة لا العقل هي الدافع والمحرك له في أغلب منظوماته

الخيال الرائع

يمتاز ورد زورث بالياسه الأشياء الطبيعية المألوفة كماء من الخيال الراقى ، وعنده أنه كلما ازداد الشاعر توسعاً وانطلاقاً في عالم الخيال ازداد لذة واستمتاعاً في الحياة . ويختلف عن كولردج

بأخذه عادات الأشياء ومألوفها مواضيع تصويره وخياله متوخياً أن يتدح بما هو عادى ومألوف شيئاً جديداً مبتكراً . فبينما كولردج يتدرج من عالم الروح والخيال إلى عالم المادة والحقيقة ترى ورد زورث يشرع من عالم المادة وينتهى عند التصاوير الشائقة والأخيلة الرائعة

غموضه معاني

وهذه الميزة لا تلازم معظم أشعاره وإنما تصدق على البعض منها . وغموضه ناجم عن مجزه في بعض الأحيان عن التميز بين ما هو عادى ومألوف وما يظنه غريباً نادراً ؛ هذا علما جنوحه إلى لباس الأشياء العادية حلة من رائع الخيال مما يوقع القارىء في ارتباك شديد يجعله غير قادر على إدراك المعنى الصحيح وتفهم ما يتوخى الشاعر إلفهامه .

وعدا هذا يمتاز ورد زورث بوصفه الحيوانات والطيور الأهلية منها والبرية . ويؤخذ عليه ندور ورود الشككة في أشعاره ، وأن أشعاره لا تلهب الحماسة في نفس القارىء

- ولكى يتم لنا البحث في أشعاره لا بد لنا من أن نقول كلمة في قصيدتين كبيرتين من قصائده ألا وهما الفاتحة The Prelude والنزهة The Excursion . أما « الفاتحة » فهي ترجمة وافية لحياة ورد زورث الشعرية ، ففيها يبحث عن تطور نفسه الشعرى ونمو سليقته منذ عهد الطفولة . في هذه القصيدة ماتى حاضره وماضيه ، وفي هذا الملتقى مبث لشعوره . إذ أنه كلما ذكر أيام الصبي اللذيذة اختلجت في نفسه عاطفة قوية وتملكه شعور لذيذ لا يتألك من بشه شعراً حياً لا أثر للكلفة فيه . ولذا كرهه اللقاهم الأول والفضل الأكبر في تصويره أحلام الطفولة وأيام الصبي ، إذ لولاها لنضبت معين شعوره وانحبس لسانه عن التعبير عما يجيش في صدره من مشاعر وفي نفسه من خلجات ، ووقف قلبه عن وصف الأوقات العذبة الهنيئة التي قضاه تحت كنف أمه الرؤوم : الطبيعة بأبسط معانيها وأجلى مظاهرها . وهذه القصيدة مهداة إلى صديقه الشاعر كولردج ، وتقع في عدة أبواب يختص الأول منها بحياة الطفولة ، والثاني بحياة المدرسة ، والثالث بالسنين التي صرفها في كبردج ، والرابع في حياة لندرة ومؤثراتها ، والخامس بزيارته الأولى لفرنسا والألب وإقامته في فرنسا خلال الثورة الفرنسية ،

في اللغة والأدب

المثنيات للأستاذ محمد شفيق

إن من خصائص اللغة العربية التي امتازت بها على غيرها من اللغات الحية هذه المثنيات^(١). وقلما يخلو علم من علوم لغة الضاد من مثنيات إن قليلة أو كثيرة. وقد رأيت أن أقدم إلى قراء «الرسالة الغراء» أمثلة منها مرتبة على العلوم، مبتدئاً بالأدب واللغة لشدة علاقتهما بالرسالة، وإن كانت هي حفية بالتفاعلات الإسلامية والعربية وغيرها:

المثنيات في اللغة والأدب والنحو والصرف

(الابردان) الغداة والمشي، والظلم والنور، وفي الصحاح:
الابردان: المصران. (الأبيضان) اللبن والماء، أو الشحم واللبن،
أو الشحم والبيض، أو الخبز والماء، أو الحنطة والماء، أو الملح
والخبز، قال الشاعر:
ولكنه يأتي إلى الحول كاملاً ومالي إلا الأيضين شراب
(الأجدان) الليل والنهار، وكذلك الجدعان، والدائبان
والطريدان، والمصران، والموان، والأحدثان، والأصرمان.
(الأحمران) الخمر واللحم، وفي المثل «أفسد الناس
الأحمران» قال الشاعر:

(١) وقسموا المثنى إلى نوعين: المثنى الحقيقي وهو مضموم، والمثنى
التظليلي وهو تظليل أحد التمازير والتشابهين على الآخر فيجعل الآخر
مسمى باسمه ثم يثنى ذلك الاسم تصدياً إليهما جماً، والتظليل يكون تارة للشرف
وأحياناً للمهيرة وآونة للحنفة كالسمرين لأبي بكر وعمر، والقمرين للشمس
والقمر. قال الزبلي... قال القائل الضبي... وجه إلى الرشيد فخرجت
حقصرت إليه... فقال يا مفضل عندك مسألة تسأل عنها، قلت نعم يا أمير
المؤمنين قول الفرزدق:

أخذنا بأفاق السماء عليكم لنا قراها والنجوم الطوالع
قال قد أفادنا هنا قبلك هذا الشيخ - يعني الكسائي وكان في المجلس -
لنا قراها يعني الشمس والقمر كما قالوا سنة السمرين يريدون أبا بكر وعمر،
قلت ثم زيادة يا أمير المؤمنين، قال زد قلت: فلم استحسنوا هذا؟ قال لأنه إذا
لجست اسمان من جنس واحد وكان أحدهما أخف على الأضواء غلبوه...
قال قلت قد بقيت مسألة أخرى، فالتفت إلى الكسائي وقال: أي هنا غير
ما قلت؟ قلت: بقيت الغاية التي أجراها الشاعر القائل في قوله، قال: وما هي؟
قلت: أراد بالشمس إبراهيم خليل الرحمن، والقمر محمداً صلى الله عليه وسلم،
والنجوم الخلفاء الراشدين؟ فسر وأصور له بجملة عظيمة.

غير ذا كره شيئاً من علاقته بأنتيت فالون معشوقته للمهودة
أما «الزهوة» فيها يخلق الشاعر ويسمو في عالم الروحانيات
إذ هي مجلي تأملاته في الفلسفة والاجتماع وعلم النفس والصوفية،
وفيها يطرق شتى الموضوعات العلمية البحتة، كتركيب العقل
ونشوءه، وفلسفة العواطف، والتأمل؛ غير أنه يكدها حلة من
الخيال، ويمبر عنها بأبسط التراكييب وأسلس العبارات وأوضحها،
هذا إذا ضربنا صفحاً عن جنوحه في بعض الأحيان إلى الغموض
في المعنى. «الزهوة» تقع في تسعة أجزاء مقتضية، كل فصل
منها حاو لقسم من أقسام القصة التي يسردها ويحملها هيكل
هذه القصيدة الكبرى

وهو في جميع مباحثه هذه لا يتوخى غير الصدق وإظهار
عظمة الخالق. أما مدار بحثه في هذه المواضع فنفسه، لأنه
صنع من جبلة غير التي صنع منها سائر البشر، بل لأنه أكثر
علماً بنفسه من غيرها من النفوس

ولقد أثارته نظريته هذه وأشمازه جدلاً عنيفاً ومجتاً متواصلًا
في البيئات الأدبية، فمن الأدباء من حمل عليه وطعن فيه، ومنهم من
انتصر له. ومن الذين انتقدوه فرنسيس جفري ويرون وهزلت،
ومنهم أيضاً صديقه كوردج في فصل من كتابه (تراجم أدبية)، بيد
أنه لم يكن هداماً في نقده ولا شديد التحامل عليه في تعليقه على
آرائه كغيره من النقاد. أما إمرسن الكاتب الأمريكي الشهير
فينتصر له، ويمدق قصيدته «خواطر في الخلود من ذكريات
الطفولة» التي تمثل عقيدة شاعرنا الفلسفية ونظريته الأدبية بمض
التعميل، من أروع بل أروع ما خلفه لنا أدباء القرن التاسع عشر
من القصائد. ولقد كان ديوان وردزورث ميموناً للفيلسوف
الانكليزي الشهير جون ستوارت ميل على مخلصه في ربيع
حياته من السويداء التي كانت تلازمه من حين إلى آخر، إذ
وجد في قراءة القصائد الفلسفية والدينية منها راحة وعزاء بل
خير شفاء له من داءه النفساني

ومؤرخو الأدب الانكليزي يميلون السنة التي ظهر فيها
ديوان وردزورث لأول مرة، أي سنة ١٧٩٨، فأحقة العصر
الابتداعي، لأن أشعاره تمثل الحركة الابتداعية من الناحية الأدبية
خير تمثيل. ولكني بتضح لنا معنى هذا القول علينا أن ننظر بمض
النظر في خواص هذه الحركة، وخصوصاً الناحية الأدبية منها
(التيبة في العدد القادم) ميريس القمص